الترغيب والترهيب

تصنيف
الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
(٥٨١ - ٦٥٦هـ)

حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه
العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله

(كتاب النوافل)

لفضيلة الشيخ الدكتور:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

كتاب النوافل (١٠)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يا أَيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّه حقَّ تُقَاته ولَا تَمُوتُنَّ إلا وأَنْتم مُسْلمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يا أَيُّها النَّاس اتَّقُوا ربَّكُم الذي خَلَقَكُم من نَفْس واحدة وخَلَقَ منْها زوجَها وبثَّ منْهُما رجالًا كَثيرًا ونساءً واتَّقُوا اللَّه الذي تَساءلُونَ به والْأَرْحَام إنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رقيبًا (١)﴾ [النساء: ١]، ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّه وقُولُوا قَوْلًا سَديدًا (٧٠) يُصْلحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ ويَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطعِ اللَّه ورسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ أحسن الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

ثم يا معاشر الفضلاء؛ إني أرحب بالجميع في مجلس علم في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن وفقه الله عَزَّ وَجَلَّ ليجلس مجلس علم في مسجد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أراد به خيرًا عظيمًا، ووفقه إلى خير عظيم، فطلب العلم في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه فضائل طلب العلم العامة، مع ما أعده الله عَزَّ وَجَلَّ لمن طلب العلم في المسجد، فمن غدى إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه كان له كأجر حاج تامًا حجته، ومن أتى مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلم خيرًا أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله، فأنعم بمجلس إن أخلص فيه العبد

قام منه بأجور طلب العلم، وبأجر الحاج الذي قد تم حجه، وبأجر المجاهد في سبيل الله، فأسأل الله ربنا الذي أكرمنا وأنعم علينا بهذا المجلس أن يتقبله منا، وأن يكتب لنا فيه خير ما كتب لمن جلس مثل مجلسنا في مسجد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نجتمع في عصر الأربعاء في مسجد رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نستمع الثابت من أحاديث نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نسمع ألفاظها، ونفهم معانيها، وننبه على شيء من حكمها وأحكامها، نستضيء بنورها، نسير إلى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلف رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع سنته الشريفة الثابتة، حيث نشرح كتاب صحيح الترغيب والترهيب، الذي وضعه خادم السنة والدين وناصر السنة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وسائر علماء المسلمين، على الكتاب بديع الفوائد عظيم العوائد، الترغيب والترهيب للحافظ عبد العظيم المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المسلمين.

فزاد الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب الترغيب والترهيب بهاء، وميز صحيح الوارد فيه من ضعيفه، وجعل الصحيح في قسم والضعيف في قسم، ونحن في درسنا هذا نشرح صحيح الترغيب والترهيب، ولا زال الكلام موصولًا عن الترغيب في قيام الليل، وقد علمنا أن الصلاة في الليل غير الفريضة وغير السنن الرواتب نوعان:

النوع الأول: ما بين المغرب والعشاء، وهذه سنة تفعل أحيانًا؛ أن يصلي المؤمن بعد أن يفرغ من صلاة المغرب ركعات يستوعب بها ما بين المغرب والعشاء أو بعض الوقت مما بين المغرب والعشاء، هذه فعلها أحيانًا سنة ثابتة عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ثبت أن الصحابة والسلف كانوا يفعلونها.

وأن النوع الثاني: هو قيام الليل، ومنه الوتر، وهو أن يصلي المؤمن أو المؤمنة ما بين صلاة العشاء إلى أذان الفجر، فأول وقت هذه الصلاة بعد صلاة العشاء، فمن صلى العشاء دخل وقت قيام الليل في حقه، حتى لو كان قد صلاها جمعًا مع المغرب إن كان ممن له أن يجمع، فإن وقت القيام والوتر يدخل في حقه، إلى أن يؤذن المؤذن للفجر، الأذان الذي يكون معه الإمساك للصائم، إذا طلع الفجر الصادق، هذا الذي دلت عليه السنة: «صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ، فإذا خشي أحدكم الفجر فليوتر ولو بركعة».

وقد كان بعض السلف يوترون ولو أذن الفجر، إلا أن الذي يظهر والله أعلم من دلالات السنة أن وقت قيام الليل بما فيه الوتر ينتهي بطلوع الفجر الصادق، ثم إن هذا القيام لليل له وقت قضاء لمن فاته ورده من الليل، وهو ما بين ارتفاع الشمس قيد رمح إلى صلاة الظهر، فهذا وقت قضاء قيام الليل، وقيام الليل عبادة شريفة كبيرة أجورها، عظيمة ثمارها، مباركة عوائدها وفوائدها، ثبتت بكتاب الله وبسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفعلية، حيث كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يواظب على صيام الليل حضرًا وسفرًا، صحيحًا ومريضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثبتت بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القولية.

والسنة نذكر شيئًا منها في هذا الكتاب الذي نشرحه وقد شرحنا بعض الأحاديث الواردة في ذلك، ونواصل شرحها، وأسأل ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يكرمني وإياكم جميعًا بأن نكون من الصالحين، الذين من شأنهم قيام الليل، فإن المواظبة على قيام الليل شأن الصالحين، ودأب الصالحين.

[المتن]

قال الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى تحت باب الترغيب في قيام الليل:

١٧ – وَعَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ قَالَ قَالَ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّىٰ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِذَا أَبَتْ نَضْخ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنَّ أَبىٰ نَضْحت فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَهَذَا لَفظه وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَه وَابْن خُزَيْمَة وَابْن حبَان فِي صَحِيحَيْهِمَا وَالْحَاكِم وَقَالَ صَحِيح علىٰ شَرط مُسلم وَعند بَعضهم رش ورشت بدل نضح ونضحت وَهُوَ بِمَعْنَاهُ.

[الشرح]

والحديث أيضًا رواه الإمام أحمد في المسند، وقول الحافظ: **(وعند بعضهم)**، أي عند ابن ماجه، عند ابن ماجه: رش ورشت، هذا الحديث الثابت عن رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد حسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا»، رحم الله هذا يحتمل أن يكون دعاءً من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بأن يرحمه الله، ويحتمل أن يكون خبرًا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عَزَّ وَجَلَّ يرحم من فعل هذا، «رَحِمَ اللهُ» وعلى كل حال، على الاحتمالين هذا

يتضمن ثناء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من صنع هذا الصنيع، والمؤمن إذا سمع هذا أن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رَحِمَ اللهُ» سواء كان خبرًا من نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو دعاءً وعلم أن هذا فيه ثناء من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من صنع ما يذكر في الحديث يُقبل بقلبه ويتشوف لأن يكون من أهل هذا الصنيع، الذي فاز أهله بهذا الثناء من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الدعاء من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويرجى لهم أن يكونوا من أهل رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، ورحمة الله قريب من المحسنين.

«رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ»، القيام يكون بعد نوم، أي أنه نام في أول الليل، ثم قام من الليل، أي قام بعضه، من هنا للتبعيض فقام بعض الليل، وكان قيامه بعد ركود، بعد أن نام في أول الليل، «فَصَلَّىٰ»، أي قيام الليل، «وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ» الواو هنا لا تقتضي الترتيب، فيستوي هنا أن يوقظ امرأته عند استيقاظه، فإذا قام أيقظها، أو بعد فراغه من صلاته أن يوقظها، «وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ» أي زوجته، وكذا لو أيقظ من معه من المحارم كبناته وأخواته، فإنه يدخل في هذا الفضل، «وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ» أي فصلت، كما جاء في بعض الروايات، ولا يلزم أن تصلي كما صلى بعدد ما صلى وبهيئة ما صلى، وإنما المقصود أن تصلي من الليل، ولو أن توتر فقط، وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام الليل يوقظ أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لتوتر، فهذا الفضل يحصل للزوج إذا أيقظ امرأته سواء عند استيقاظه أو بعد صلاته لتصلي من الليل ولو صلت قليلًا، ولو أوترت فقط.

«فَإِذَا أَبَتْ» أي: امتنعت من الاستيقاظ لغلبة النوم، قال لها: يا فلانة صلاة الليل، قالت: طيب، وأعطته ظهرها ونامت، غلب عليها النوم أو غلب عليها الكسل، «نَضْخ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ»، أي رش في وجهها الماء، قال العلماء: يبدأ بالأخف، فأول الأمر يطلب منها أن تستيقظ، فإن أبت حدثها بحديث لطيف، والمرأة تنشط لحديث زوجها، فيحدثها بالحديث اللطيف بين الزوجين، ليندفع عنها الكسل، فإن أبت مسح وجهها بالماء مسحًا، فإن أبت رش في وجهها الماء.

«وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً» أي الزوجة إن سبقت زوجها فقامت من نومها فصلت وردها، «وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً» ورحم هنا كما قلنا في الأول في الرجل، «فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا» فصلى كما في بعض الروايات

وكما قلنا: لا يلزم أن تكون الصلاة كالصلاة، ولكن المراد أن يصليا، «فَإِنَّ أَبىٰ» لغلبة النوم أو الكسل، «نَضْحت فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»، ونقول هنا كما قلنا في الرجل: تبدأ بالأخف، وتتلطف في إيقاظه، وتتجنب غضبه.

وفي هذا الحديث: فضيلة قيام الليل، وأنه من أفضل النوافل، وفيه: فضيلة تعاون الزوجين وتعاون أهل البيت على قيام الليل، وفي الحديث: أن التعاون بين الزوجين أو بين أهل البيت على البر والتقوى سبب لنزول الرحمة في البيت، البيوت التي يتعاون أهلها على قيام الليل خصوصًا وعلى البر والتقوى عمومًا تتنزل عليها الرحمات، تكون بيوتًا مرحومة، وبالتالي تظهر فيها المودة، ويقل الشقاق، وتقل المشاكل الكبرى.

وفي الحديث: أنه يستحب لمن عمل خيرًا أن يحبه لغيره ممن هو معه، كمن قام الليل وكانت معه أمه وأخواته يستحب له أن يوقظهن برفق ولطف، من قام الليل وكان مع زملاء يستحب أن يوقظهم لقيام الليل ولو للوتر بلطف، هذا إذا لم يعلم أن النائم قد قام في أول الليل، فإذا علم أن النائم قد قام في أول الليل وأوتر في أول الليل فإنه لا يوقظه، لأنه قد قام في أول الليل.

[المتن]

١٩ - وعن أبي هريرة رضي وأبىٰ سعيدٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إِذَا أَيْقَظ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَات». رواه أبو داود، وقال: رواه ابن كثير موقوفًا علىٰ أبىٰ سعيد، ولم يذكر أبا هريرة.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: قلت إسناد المرفوع صحيح، قد صححه جماعة، ولا يضيره رواية ابن كثير موقوفًا، لأنّ الرفع زيادة ثقة واجب قبولها، لا سيما وله طريق آخر مرفوع عن أبي سعيد وحده رواه الطبراني في "الأوسط" و"الصغير"، وهو مخرج في "الروض النضير" (٩٦٢)، ثم إنَّ النسائي إنما رواه في "الكبرىٰ" (١/ ٤١٣/ ١٣١٠)! بخلاف حديث أبي هريرة الذي قبله فهو قد رواه في "الصغرىٰ" (١/ ٢٣٩)! وهما مخرَّجان في "صحيح أبي داود" (١١٨١ و ١١٨٢).

[الشرح]

أبو داود لما روى الحديث قال: لم يرفعه ابن كثير، وابن كثير هو شيخ أبي داود، لم يرفعه ابن كثير ولا ذكر أبا هريرة، جعله كلام أبي سعيد، وقال أبو داود: رواه ابن مهدي عن سفيان، قال: وأراه ذكر أبا هريرة، وحديث سفيان موقوف، قلت: ورواه أبو داود عن شيخه محمد بن حاتم بإسناده عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو موجود مرفوعًا عن أبي سعيد وأبي هريرة عند أبي داود، لكن ليس عن شيخه ابن كثير.

[المتن]

ورواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، والحاكم وألفاظهم متقاربة: «من استيقظ من الليل، وأيقظ أهله فصليا ركعتين». زاد النسائي: «جميعـًا كُتِبَا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

قال الحافظ: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

[الشرح]

رواه النسائي في الكبرى.

هذا الحديث فيه ما في قبله، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا»، أي صلى كل واحد بمفرده ولو ركعتين يعني مع الوتر، أو صليا معًا جميعًا، فكان الرجل إمامًا يؤم المرأة، يحصل الفضل بهذا وهذا، إذا قام وصلى الرجل لوحده والمرأة لوحدها وأقل الكمال ثلاث ركعات حصل الفضل، أو قام فصليا سويًا بأن أم الرجل امرأته حصل الفضل، «فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا»، جميعًا هنا يُحتمل جميعًا أي صلى الاثنان، ويُحتمل صليا معًا بأن كان الرجل إمامًا والمرأة مأمومة، «كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ»، أي كُتب الرجل في الذاكرين، وكُتبت المرأة في الذاكرات، والذاكرون الله كثيرًا والذاكرات هم المفردون، الذين سبقوا غيرهم في المسارعة إلى الجنة، والذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

فإذا واظب الزوجان على هذا واظب الرجل على قيام الليل كُتب من الذاكرين الله كثيرًا، فكان من المفردين السابقين الذين يسبقون غيرهم إلى الجنة، وكان موعودًا بأن يعد الله له مغفرة وأجرًا عظيمًا، وإذا صلت المرأة وواظبت على قيام الليل كتبها الله من الذاكرات الله كثيرًا، وكانت من السابقين الذين يسبقون غيرهم في المسارعة إلى الجنة، وكانت موعودة بأن يعد الله لها مغفرة وأجرًا

عظيمًا، وما أعظمه من ثواب، وما أكرمه من مقام أن يكون العبد عند ربه من الذاكرين الله كثيرًا، وأن تكون المرأة عند ربها من الذاكرات الله كثيرًا، وهذا فيه حظ عظيم على أن يحرص الزوج على إيقاظ امرأته لقيام الليل، وعلى أن تحرص المرأة على إيقاظ زوجها لقيام الليل.

ونعم البيت الذي يذكر الله فيه كثيرًا، فهو بيت حي مرحوم، وذكر الله كثيرًا يحصل لأهل البيت إذا أقيم فيه الليل، فإن زيد على ذلك من أنواع الذكر من قراءة القرآن وذكر الله والدعاء كان ذلك نورًا على نور.

[المتن]

٢٦ - وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنهما قال: جاء جبريل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال: «يَا مُحَمَّدُ: عِشْ مَا شِئْت فَإِنَّك مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْت فَإِنَّك مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْت فَإِنَّك مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ النَّاسِ». رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

[الشرح]

ورواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ورواه أبو نعيم في الحلية، وحكم عليه الشيخ ناصر رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه حسن لغيره، (جاء جبريل) أشرف الملائكة عليه السلام، إلى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف الرسل صلى الله وعلى آله وصحبه وسلم وعلى رسل الله وسلم، فقال: «يَا مُحَمَّدُ»، خاطبه باسمه، لأنه المناسب لمقام الوعظ والتذكير، فهذا وعظ للعبد، ووعظ للإنسان، «يَا مُحَمَّدُ: عِشْ مَا شِئْت فَإِنَّك مَيِّتٌ» أي: آيل إلى الموت ولا بد، فكل نفس ذائقة الموت، الموت يقين واصل وإن تناسيناه، لا بد للإنسان مهما طال عمره من الموت، والمقصود بهذه الجملة: الاستعداد لما ورائه، ليس الخبر، وإنما المقصود: الاستعداد لما وراء الموت، « عِشْ مَا شِئْت فَإِنَّك مَيِّتٌ»، فكن مستعدًا لما وراء الموت، كنًا مؤمنًا فطنًا، تكثر ذكر الموت، وتحسن الاستعداد لما بعده، فإن الحياة الحقيقية إنما هي الحياة بعد الموت، « وَاعْمَلْ مَا شِئْت» من خير أو شر، « فَإِنَّك مَجْزِيٌّ بِهِ».

تُبين هذه الجملة: « فَإِنَّك مَجْزِيٌّ بِهِ» على أن قوله: « وَاعْمَلْ مَا شِئْت» ليس تخييرًا، وليس إذنًا في أن يعمل الشر، وإنما بيان أن من عمل خيرًا جُزي به، ومن عمل شرًا جُزي به، ففي هذا حظ على فعل

الخير، وتحذير من فعل الشر، فإنك مجزي به، « وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ»، أحبب ما شئت من أهل الدنيا فإنك مفارقه إما أن تفارقه وإما أن يفارقك، بموت إن بقيتما معًا إلى الموت أو بغيره، وإذا فارقته بالموت تركك، مهما كانت محبته لك والله لن يدخل معك قبرك، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد» متفق عليه.

أهل الميت يحبونه ويبكون عليه ويحزنون لفراقه، لكن إذا وصلوا القبر وقفوا، يدفنونه ويرجعون، « وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ»، وإذا فارقته تركك، « وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ»، أن رفعة المؤمن، وعلوه وعزه « قِيَامُ اللَّيْلِ»، أي أن في قيام الليل الرفعة الحقيقية، والعزة الحقيقية، وعلو الشأن الحقيقي النافع وهذا هو العلو الحقيقي، العلو عند الله، ليس العلو عند الناس، العلو عند الناس يترك، مدير يعليه الناس ويتقربون إليه، وإذا جاء أوسعوا له صدر المجلس، فإذا نزل عن إدارته تركوا ذلك، إذا تقاعد من عمله تركوا ذلك، وإنما العلو النافع العلو عند الله، العزة عند الله، والله لو بجلك الناس ورفعك الناس لأنك تتلاعب بعواطفهم أو تقول لهم ما يريدون والله إنها ليس برفعة، إنما الرفعة أن تكون عاليًا عند الله، أن تكون قوالًا بالحق، ولو كرهك أكثر الناس.

ولو سبك أكثر الناس، الرفعة الحقيقية أن تكون عاليًا عند الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن الرفعة الحقيقية: الرفعة التي تحصل بقيام الليل، « وَعِزَّهُ» العز هنا بمعنى القوة والعظمة، « اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ النَّاسِ»، أي أن يقنع بما رزقه الله ولو كان كفافًا، ولا يطلب ما في أيدي الناس، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما أتاه»، «قد أفلح» فاز، «من أسلم» كان مسلمًا، «ورزقه الله كفافًا» رزقه الله ما يكفيه، «وقنعه الله بما أتاه»، أفلح وفاز، فالعز أن تبذل ما في يدك للناس ابتغاء وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن تقنع برزق الله لك، وأن لا تطلب ما في أيدي الناس، أكثر شقاء الناس أنهم يتطلبون ما في أيدي الناس، لا ينظرون إلى ما أعطاهم الله، وإنما ينظرون إلى ما أعطى الله غيرهم، فيعيشون في قلق واضطراب واكتئاب، ولا يعرفون نعمة الله، ولا يشكرونها بل ينكرونها، عزك أيها المؤمن أن تستغني عن الناس، وقد قيل: "استغنِ عمن شئت فأنت نظيره، وسل من شئت فأنت أسيره، وأحسن إلى من شئت فأنت أميره".

"استغنِ عمن شئت فأنت نظيره" مثله ليس له عليك منة، لم يعطك ريالات يعلو بها عليك، " وسل من شئت فأنت أسيره"، إذا كنت تطلب من الناس تصبح أسيرًا لهم، " وأحسن إلى من شئت فأنت أميره"، إذا كنت تبذل للناس فأنت في مقام الأمير، فالعز للمؤمن أن يحرص على أن يكون محسنًا إلى عباد الله من غير علو ولا كبر، وأن يستغني عما في أيدي الناس، ويقنع بما رزقه الله.

والشاهد من الحديث: «وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ»، كيف يفرط المؤمن في شرفه؟! ومقامه ويترك قيام الليل؟! فحري بالمؤمن أن يحرص على شرفه بأن يحرص على قيام الليل، وعلى أن يكون من أهل قيام الليل، وقد قدمت لكم أن قيام الليل يصدق على الصلاة بعد العشاء ولو بعد العشاء مباشرة، الذي ما يستطيع يقوم في آخر الليل يصلي في أول الليل بعد ما يصلي العشاء يصلي السنة الراتبة يصلي ورده، ومن الأسف أن الناس اليوم يستيقظون أكثر الليل، لكن قل من يقوم الليل منهم، يسهرون إلى الواحدة والثانية والثالثة، فعندهم قدرة على أن يقوموا الليل لكنهم للأسف لا يفعلون، وهذا يحتم على طلاب العلم أن يحثوا الناس على قيام الليل، ويُبينوا لهم فضله، لأن طالب العلم يغتنم مثل هذه الأمور، لأنك إذا دللت أحدًا على قيام الليل فقام الليل كلما قام الليل كتب لك أجره، فإذا علم غيره كلما قام الليل كتب لك أجره وهكذا.

فحري بالمؤمن أن يحرص على أن يحث غيره على قيام الليل، وأن يدل غيره على قيام الليل ليفوز هو ومن دله على ذلك.

[المتن]

٣٠ - وعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَعطت إِنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ». رواه الترمذي واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

[الشرح]

ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه النسائي عن عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله هل من ساعة أقرب من الأخرى أو هل من ساعة يبتغى ذكرها؟ قال: «نعم،

إن اقرب ما يكون الرب عَزَّ وَجَلَّ من العبد جوف الليل الآخر، فَإِنْ اسْتَعطت أن تذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في تلك الساعة فكن»، وصححه الألباني ورواه الإمام أحمد عن عمرو بن عبسة قال: أي الساعات أفضل؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جوف الليل الآخر».

عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أقرب الساعات من غيرها، وعن الساعة التي يطلب ذكرها، ويحرص على الذكر فيها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جوف الليل الآخر»؛ لأن أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر؛ حيث ينزل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نزول كمال وجلال يليق بجلاله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر كما تقدم معنا، ولذلك كان جوف الليل الآخر من أرجى الأوقات لإجابة الدعاء، من أرجى الأوقات لإجابة الدعاء جوف الليل الآخر، فقد قيل: يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جوف الليل الآخر، وأدبار الصلوات المكتوبات» رواه الترمذي وصححه الألباني، وأدبار الصلوات المكتوبات يعني في آخر الصلاة، هذه من أرجى الأوقات لإجابة الدعاء أن تدعو الله في آخر صلاتك المفروضة، وأن تدعو الله في جوف الليل الآخر، فإن الدعاء أسمع وأقرب للإجابة في هذين الوقتين، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن ذكر الله يشمل قراءة القرآن، وذكر الله بالأذكار المعروفة كالتسبيح، وذكر الله بالدعاء يشمل قراءة القرآن وذكر الله بالأذكار المعروفة، وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ بالدعاء، وأعظم ذكر الله في هذا الوقت الصلاة، فالصلاة جامعة لأنواع الذكر مع كونها عبادة شريفة، الصلاة من أحب العبادات إلى الله، وفيها أنواع الذكر، ففيها قراءة القرآن، وفيها ذكر الله بالتسبيح ونحوه، وفيها الدعاء.

فأفضل ذكر الله في جوف الليل الآخر أن تصلي، وقد جاء في الحديث عند النسائي وأحمد أن عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: هل من ساعة أقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ من أخرى؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم، جوف الليل الآخر، فصلي ما بدا لك حتى تصلي الصبح»، ففرع هذا على هذا، وهذا يفسر ذكر الله في الحديث الآخر أو في الروايات الأخرى، وأن أفضل ذكر الله في جوف الليل الآخر أن تقوم مصليًا، حتى تصلي الصبح، يعني حتى يؤذن المؤذن للفجر، وبعض أهل العلم

يستدل بهذا على ما ذهب بعض السلف من أنه يوتر ولو بعد الأذان، لأنه قال: حتى تصلي الصبح، وهذا له وجه، لكن الأقرب والله أعلم أنه إذا طلع الفجر انتهى وقت قيام الليل.

ففي هذا حث عظيم على أن يكون العبد مستيقظًا في جوف الليل الآخر، لم؟ لأنه أقرب ما يكون الرب إلى العبد في هذا الوقت، إذا علمت يا عبد الله أن ربك سبحانه وجل في علاه أقرب ما يكون إليك في جوف الليل الآخر كيف تضيع هذه الفرصة؟! كيف تضيع هذه الفرصة تنام؟! والله لو تركنا النوم كله لنفوز بهذا لكان خيرًا عظيمًا، فكيف ولم يطلب منا هذا؟! وإنما أن نقوم في جوف الليل الآخر، نفوز بهذه الغنيمة العظيمة، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله؛ لأن أكثر الناس يكونون نائمين، وسيأتينا إن شاء الله أن أجر العبادة يعظم عند الغفلة، فإذا كان الإنسان حيث ينام الناس كان أجره أعظم، ولذلك أجر الذي يقوم في آخر الليل أعظم من أجر الذي يقوم في أول الليل، لأن الذي يقوم في أول الليل يقوم والناس ساجدون ويصلون، أما الذي يقوم في آخر الليل يقوم حيث ينام الناس، فيعظم أجره، سيأتينا حديث إن شاء الله في المجلس القادم نعلق عليه إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، لعلنا نقف عند هذه النقطة ونُكمل في المجلس القادم إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

(الأسئلة)

[س]: يقول: إذا صلت المرأة مع زوجها هل تصف عن يمينه؟

[ج]: جمهور الفقهاء على أن الزوجة لا تصاف الزوج، وإنما تكون خلفه، وهذا عليه المذاهب الأربعة في الجملة، وذهب الحنابلة في قول إلى أن المرأة تصلي خلف الرجل ولا تصاف إلا الزوجة والأم، فللأم أن تكون على يمين ابنها إذا صلى بها، وللزوجة أن تكون على يمين زوجها إذا صلى بها، والراجح عندي أنها مُخيرة، إن شاءت صلت عن يمينه وإن شاءت صلت خلفه، وما الأفضل؟ الأفضل الأصلح لقلبها في الصلاة، فإن كانت إن صلت عن يمينه انشغل قلبها به فإن الأفضل أن تصلي خلفه، وإن كانت إن صلت عن يمينه شعرت بالسكينة والخشوع، وأقبلت على صلاتها فإنها تصلي عن يمينه.

[س]: يقول: ما نصيحتكم لمن كان ثقيل النوم فلا يستطيع القيام إلا بصعوبة؟

[ج]: أولًا يا إخوة يجب أن نعلم أن كل طبع يمكن أن يُغير، الأخلاق تكتسب، والأطباع تغير، لكنها تحتاج إلى دربة وصبر، بعض الناس يأتيك يقول: يا شيخ أنا طبعي غضوب، ما استطيع إلا أن أغضب، نقول: لأنك أقنعت نفسك بهذا، ولم تحاول أن تغير، ولم تدرب نفسك، النفس كالطفل إن دربتها على شيء قبلت، فأنت إن عودت نفسك على أن تستيقظ وأخذت نفسك بالحزم ومرة تفشل ومرة تنجح شيئًا فشيئًا سيصبح من عادتك أنك تستيقظ في آخر الليل، كما أن الإنسان يتخذ الوسائل كما في الحديث، الرجل إذا استيقظ وصلى وأراد أن يوقظ امرأته فما استيقظت يتخذ الوسائل التي توقظها، ويرش في وجهها الماء، فيتخذ الإنسان الوسيلة، كأن يوقت الساعة، لكن ما يجعل الساعة بجوار السرير يخبطها ويرجع ينام، يضعها بعيدًا عنه، بحيث أنه إما أن يتحمل إزعاجها وإما أن يقوم إليها، وإذا قام إليها وتحرك نشط، أو يوصي من حوله يوصي أهله أيقظوني، ولو برش الماء في وجهي، يتخذ الوسائل، فإن غلب النوم الإنسان فإنه معذور حتى لو نام عن الفرض، أما إن علم الله منه صدق العزيمة وقد أتى فراشه وهو صادق العزيمة أن يقوم ليصلي من الليل فثقل عليه النوم من غير تفريط منه فإنه يكتب له أجر ما نوى، وكان نومه من الله عليه صدقة.

لا تستسلم للنوم، حارب النوم ولو بالنية الصادقة، نية صادقة في قلبك عندما تأتي تريد أن تنام أنك تقوم تصلي من الليل، وبذل الأسباب فإن استيقظت فالحمد لله، وإن لم تستيقظ فأبشر بالخير من الله، معذور ويكتب لك أجر ما نويته قبل أن تنام.

[س]: يقول: ما حكم إنشاء مجموعة للإبلاغ عن الجنائز؟

[ج]: إخبار الناس بالجنازة ليصلوا عليها مشروع، ولذلك لما ماتت المرأة السوداء أو العبد الأسود الذي كان يقم المسجد في الليل فصلى عليه أو عليها الصحابة، ثم فقده أو فقدها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأل عنه أو عنها فأخبر، فقال: «فهلا آذنتموني؟!» هلا أعلمتموني أنه قد مات ليصلي عليه، هلا آذنتموني أنها قد ماتت ليصلي عليها، فالإخبار لمن يهتم ليصلي على الميت لموته مشروع وليس من النياحة، وليس من النعي، والمقصود من الإخبار هنا أن يصلي عليه، فإذا اتخذت وسيلة لإعلام الناس فلا بأس، لكن لا أرى أن تكون وسيلة دائمة كمجموعات ونحو ذلك؛ لأن الناس يتفاوتون

والأموات يتفاوتون، لكن إذا مات الميت يرسل لمن يُعلم أنه يحب أن يصلي عليه، أن فلان قد مات، اليوم في المسجد الفلاني جنازة، هذا ما فيه بأس إن شاء الله.

[س]: إذا زاد سعر العملة في البلد وقد اشتريت بضاعة قبل غلاء الدولار، فهل لي أن أغير سعر البضاعة بالسعر المرتفع؟

[ج]: أولًا: التحقيق من أقوال الفقهاء أنه لا حد للربح، فيجوز للتاجر والبائع أن يربح ضعف الثمن أو أكثر، فإن أبا طيبة لما أعطاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دينارًا ليشتري له شاة، فاشترى بالدينار شاتين، وباع إحداهما بدينار فرجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشاة ودينار، هنا اشتراه بنصف دينار وباعها بدينار، فربح نصف دينار، ولم ينكر عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن في نفس الوقت لا يجوز للتاجر أن يغبن الناس بأن يبيعهم بأعلى من سعر السلعة الموجود في السوق، يعني يستغل أن المشتري ما يعرف السعر وهي تباع بعشرين، فيقول له: بخمسين، ومن أجلك بأربعين، من أجل هذا الوجه الطيب بأربعين، والناس كلهم يبيعونها بعشرين، هذا حرام، ما يجوز، وإذا حصل للمشتري أن يرد السلعة إذا علم.

فإذا كان التاجر قد اشترى السلعة بثمن ثم غلى سعرها لارتفاع العملة ونحو ذلك وصارت التجار يبيعونها سعر معين سيربح معه مثل ما دفع ما في بأس يجوز، ما دام أنه لا يحصل هنا غبن، بشرط ألا يكون التاجر يحتكر السلعة حتى يرتفع السعر، فإنه لا يحتكر إلا خاطئ، أما إذا كان السلعة موجودة وارتفعت الأسعار أسعار السلعة فله أن يبيعها بسعر السوق.

[س]: يقول: هل يشرع لزائر المدينة تكرار السلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

[ج]: السلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشروع، لكن لا يلزم أن يكون عند قبره، بل كل مسلم إذا دخل المسجد النبوي فإنه يقول: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، ويكفي هذا، ولا يحتاج أن يذهب إلى القبر، ولم يعرف عن الصحابة أن أحدهم يذهب إلى القبر ليسلم إلا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا أراد أن يسافر أو قدم من سفر، فإنه يذهب إلى القبر ويسلم، فالقادم من سفر سواء كان من أهل المدينة أو من الزوار يشرع له على التحقيق أن يذهب ويسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قبره، وما من مسلم يسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا رد الله عليه روحه ليرد عليه

السلام كما ثبت بذلك الحديث وحمله أكثر أهل العلم على من يسلم عليه عند قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشاهد: أن القادم من السفر إن كان من أهل المدينة أو من الزائرين يشرع له أن يذهب ويسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأدب، يقف أمام القبر مستقبلًا القبر مستدبرًا القبلة، يقف وقفة احترام لكن ليست كوقفة المصلي، فلا يضع يمينه على يساره، أو عند سرته إن كان ممن يفعل هذا في الصلاة، وإنما يقف بأدب ويسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس في قلبه إلا السنة، لا يتعلق بالقبر، ولا بالمقبور الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يسلم بأدب، ثم يسلم على الصحابين ثم ينصرف، أما ما يفعله بعض الناس من أنه إذا جاء عند القبر دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا أقبح الأدب، أقبح سوء الأدب، أقبح سوء الأدب أن تدعو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يُعلم الناس التوحيد من أول لحظة بُعث فيها إلى أن فارق الدنيا، وكان يعلمهم أن يدعو الله وأن يسألوا الله وحده.

أقبح سوء الأدب أن تخالفه، وتقف عند قبره تدعوه من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما يفعله بعض الناس من أنه إذا وقف أمام القبر رفع يديه كما يفعل المصلي، هذا غير مشروع ومحرم، ما يفعله بعض الناس من أنه إذا جاء عند المواجهة قال كهذا، هذا غير مشروع ومحرم، ومن الأشياء التي يخطئ فيها بعض الناس أنه إذا جاء عند القبر سلم، وقال: يسلم عليك أبي وأمي وخالتي وعمتي وجارتنا نفيسة، وجارنا صالح، فقد حملوني الأمانة، يا قوم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكرم من هذا، الله قد جعل له ملائكة سيارين في الأرض سياحين إذا سلم عليه المسلم من أي مكان نقل الملك سلامه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما يحتاج إلى هذه البشري الضعيف يسلم له، مجرد أن تقول: السلام عليك يا رسول الله وأنت في بلادك، قبل أن يصل هذا الذي سافر بالطائرة يكون سلامك فورًا قد وصل إلى رسول الله صلى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك إذا أراد الزائر أن يسافر أو المدني أن يسافر لا بأس أن يسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قبره، أما تكرار السلام كل يوم يسلم وكل جمعة يسلم، فهذا غير مشروع، وما ورد عن السلف قط وهم أعلم بدين الله منا وأحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منا.

[س]: يقول: لي تجارة سيحول عليها الحول كيف أخرج زكاتها؟

[ج]: التجارة أعني عروض التجارة فيها زكاة إذا حال عليها الحول، فينظر التاجر في يوم حولان الحول، لو باع ما عنده بكم يبيعه؟ كم يدخل عليه؟ ثم يضيفه إلى المال الذي عنده ويزكيه، ما تزكى عروض التجارة بالفواتير يا إخوة، ولا بسعر الشراء، وإنما تزكى بسعر البيع عند حولان الحول، عندي الآن بضاعة في المحل واليوم حال الحول، أقدرها أو آتي بخبير يقدرها، لو بعتها كلها بكم؟

قالوا: بخمسين ألف، خلاص يزكي خمسين ألفًا، حتى لو كان قد اشتراها بمائة ألف، وحتى لو كان قد اشتراها بعشر آلاف ما له عبرة، العبرة بما ذكرنا. **أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يفقهني وإياكم في دينه.**

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَسَلَّمَ.